

اجتهادات أحزان لينين الرملى

عندما طالعتُ مسرحية لينين الرملى الرائعة “اضحك لما تموت” عقب إصدارها عن الهيئة العامة لقصور الثقافة العام الماضى، تمنيتُ أن يتم تنفيذها على خشبة المسرح. ولذلك كان تعاقد المسرح القومى معه لتقديمها على خشبته خبراً مُفرحاً لكل من يعرف قيمة أعمال الرملى، ويدرك فى الوقت نفسه أن تنفيذ مثل هذه الأعمال يعيد الروح إلى المسرح المصرى من وقت إلى آخر.

ولكن فرح محبى مسرح لينين الرملى يقابله حزنه الكبير الذى عبر عنه بوضوح فى مقابلة صحفية منذ أيام. فقد بدا فيها غارقاً فى أحزان مصدرها اعتقاده فى أنه لم يحظ بما يستحقه من تقدير، وأن آخرين استغلوا بعض أعماله لمصلحتهم أو بالأحرى سرقوا جهده أو سطوا عليه. ويعرف بعض متابعى الحركة المسرحية بالفعل قصة الرملى مع أحد الممثلين، والتي تُعد حالة صارخة تؤكد تعرضه لظلم فادح يكفى لأن يشعر بالحزن.

ولكن أكثر ما يحزنه، وفق ما يستدل عليه من كلامه، أن الجمهور العادى لا يعرفه، وأن اسمه مألوف فى أوساط المثقفين فقط، وأن أعماله الناجحة الكثيرة نُسبت إلى غيره لأن الناس تهتم بالممثل وليس بالكاتب. وهذا صحيح فى معظمه على الأقل، الأمر الذى يجعل حزن الرملى مفهوماً،

فضلاً عن أنه طبيعى حين ينظر اليوم إلى مشواره الفنى الحافل بالإبداع، ويضع أمامه قائمة أعمال رائعة لم تقتصر على المسرح الذى يُعد المجال الرئيسى لإبداعه حيث كتب أكثر من 50 مسرحية، بل شمل الدراما السينمائية والتلفزيونية أيضاً.

غير أن هذا الحزن مفهوم وطبيعى فقط فى لحظته، أى حين يشتد شعور مبدع كبير به فيغرق فيه، وينسى أن قيمة الإبداع لا تُقاس بعدد من يعرفون ذلك المبدع، بل بأثره الذى يتجاوز هذه اللحظة، لأنه عابر للزمن.

ولعل أكثر ما ينساه الرملى فى أحزانه هذه أن التاريخ يحفظ قيمة الإبداع فتزداد أهميته والمعرفة به وبمبدعه جيلاً بعد جيل، وخاصة عندما تكون له رسالة هادفة. وكم من مبدعين فى مجالات مختلفة حمل التاريخ أعمالهم إلى أجيال متوالية. فهل كان الرائع برتولد بريخت يتخيل فى حياته أن يصبح مسرحه مدرسةً يتعلم فيها مبدعون، ويتأثر بها عشرات الملايين فى أنحاء العالم جيلاً بعد جيل؟